

يوم قرّر السعوديون أن يُبيدوا أهل الكويت

الخبير
al-akhbar

رئيس التحرير -
المحرر المسؤول:
ابراهيم الامين

نائب رئيس التحرير:
بيار ابي صعب

محرر التحرير:
إيلي شلهوب،
وفيف قانصوه

مجلس التحرير:
محمد زبيب
حسن عليف
إيلي حنا
أهل الاندري
شريك كريم

صادرة عن شركة
اخبار بيروت

المكاتب بيروت -
فردان - شارع جونان
- سنتر كورنكورد -
الطابق السادس
تلفاكس:
01759500
01759597
ص.ب 5963/113

الإعلانات
الوكيل الصحفي
ads@al-akhbar.com
01/759500

التوزيع
شركة الواصل
15-11/666314-01
03 / 828381

الموقع الإلكتروني
www.al-akhbar.com

صفحات التواصل



/AlakhbarNews



@AlakhbarNews



/alakhbarnews-
paper

جعفر البكاي

تكدّس آلاف الكويتيين فوق بعضهم بعضاً داخل ساحة حصن صغير لا تزيد مساحته على ستة آلاف متر مربع، يسمى «القصر الأحمر» ويشرف على شاطئ «الجهراء». وظلت تفتersh الأرض بين أولئك الألوف من البشر، مئات الجثث التي أخذت في التعفن بفعل حرارة شمس الصيف الكويتي اللاهب... ولم تكن رائحة الموتى فقط هي التي تترك الألوف في ذلك المحبس البغيض، بل كانت هناك رواائح منوعة أخرى: قئ الجرجي وعرق الأجساد النتن، ويران الأدميين المبعثر في كل مكان، والدواب التي تزاحم البشر على بقعة ظل، ثم إذا اقتضاهما الحال فهي تبول عليهم... ولقد زاد ذلك الهوان عويل النساء اللائي يندبن قتلهن، ونشيج الأطفال الذين يطلبون، منذ الأمس، الماء فلا يجدون منه قطرة واحدة تخفف الظما. لقد صار الماء والطعام مفقودين تماماً في هذا المكان المحاصر من أركانه الأربعة بالآلاف مؤلفة من جنود عبد العزيز آل سعود المتعطشين للعق دماء الكويتيين!

كان الفزع والجزع يفترسان أرواح أهل الكويت، والجوع والعطش يعصران الأمعاء والألسن، والذلل والجذل يلوثان الوجوه والأنوف، والغيظ والقهر يكويان القلوب والعقول... أهذا هو الذي جاءنا طريداً فأويناه، وجائئاً فأطعمناه، وعارياً فكسيناه، وذليلاً فأكرمناه، ومسكيناً فأغنيناه؟! أهذا الذي ردنا عليه ملكه بعد أن باد، ورفعنا له ذكره بعدما ماد، وأمدنا به بمال ورجال وعة وعتاد؟! أهكذا يكون جزاء الإحسان؟! لا، والمهزلة، أن ابن سعود وجنوده الأجلاف يزعمون أنهم ما جاؤونا بالذبح إلا ليدخلوا أهل الكويت للإسلام! وأي إسلام هذا الذي تذبذبونا لندخلونا فيه؟! وأي إسلام سعودي هذا الذي يقنص أهل الكويت، حينما يخرجون بضعة أمتار من محبسهم في «القصر الأحمر» ليدفنوا قتلهم، أو ليسحبوا جثث موتاهم من الفلاة؟! وأي إسلام يجوع الكويتيين ويعطشهم، ويمنع كل سفينة عوث أن تصل لهم، بل ينهبها، ويقفل بخارتها، على شاطئ «الجهراء»؟! كان المكسوسون خلف أسوار «القصر الأحمر»، وفوق أبراجه، وبين غرفه، وفي ساحته، وديوانيته، ومسجده، وإسطبله، قرابة ثلاثة آلاف كويتي (1)، يمثلون معظم أفراد ذلك المجتمع الصغير: الشيب والشباب... السادة والعبيد... الأغنياء والضعفاء... الأطفال والنساء... البدو والحضر... السنة والشبيعة... وكان شيخ الكويت نفسه سالم بن مبارك الصباح بين أولئك القوم المحاصرين، وكان بعض من أفراد الأسرة الحاكمة، مثل الشيخ جابر العبد الله الصباح، جثة مضرجة تفترسها الكواسر في الخلاء؛ ولم يشك القوم المكسوسون، في تلك الجحور الضيقة، نهار الإثنين الحادي عشر من شهر تشرين الأول 1920، أن عاصفة الحرب التي توشك أن تدور رحاها من جديد، في هذه الليلة الشنعا، ستكون نتيجتها الحتمية إبادة شاملة لأهل الكويت؛ فلقد كان لهم في هزيمة الأمس، درس، أي درس؛ وكيف لهم أن يهزموا أولئك الوحوش الذين يسمون أنفسهم «إخواناً»، وما هم ببشر عاديين، بل صنف من الأحياء - الأموات؟!

غرقت الشمس في البحر، وأطبق فك الليل وزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وظلت الريح تسوق إلى الكويتيين المحصورين أصوات خداء الوهابيين البعيد، وهم ينشدون أهازيجهم: «ابراهيم يا عمود الدين، محمد يا رسول الله...» «هبت هبوب الجنة، وين انت يا باغيها»... «خيال الخيل، وأنا أخو من طاع الله»... وشيئاً فشيئاً أخذ نسق الأهازيج يرتفع، وكان ذلك معناه أن الغزاة يقتربون. ولم يلبث الكويتيون حتى بدأوا يلمحون من بعيد جحافل الوهابيين، بعماماتهم التي تميّزهم، وهم يشهرون السيوف، ويرفعون البيارق. كان «الإخوان» يسيرون إلى الحصن صقلاً مستقيمة من ورائها صفوف، وكانهم يقومون إلى صلاة. ثم تمركزوا بمدافعهم الحربية الضخمة فوق رابية قريبة استعداداً لقصف الحصن على من فيه. وصعد بعض الجنود الكويتيين حاملين بنادقهم، إلى «الغولة» الغربية الجنوبية المطلة على جموع الأعداء، كي

يعاونوا الرجال المرابطين هناك. وكانت هذه «الغولة» (كما تسمى في الكويت) إحدى أبراج أربعة شيدت للمراقبة في زوايا الحصن. وجثم آخرون على الأرض، يتربصون للسعوديين ببنادقهم، من خلف «المزاعيل» الكثيرة في السور. وكانت هذه ثقوباً متفاوتة الأحجام حفرت في جدران الحصن، من أجل أن تكون مكمناً للتصويب على الغزاة. فجأة رجفت «الراجفة»، فاشتعلت الأرض والسماء بقذائف مدافع، ورصاص بنادق أربعة آلاف وهايي أطلقوا حممهم دفعة واحدة، في لحظة واحدة، بإشارة من زعيمهم فيصل الدويش.

السلطان والإخوان

كان «الراجفة» مصطلحاً قرانياً دالاً على لحظة إفناء الله للعالم، ودكها دكاً، تحضيراً لميعاد القيامة. ولقد تبنى «الإخوان» ذلك المصطلح، ليجعلوه لقب صدمتهم الأولى لأعدائهم عند الحرب. فكانت «الراجفة الوهابية» حملة قصف منظمة تستغرق من الجنود بضع دقائق يُكون فيها معاً عدوهم من دون أي توقف. واعتُبر هذا تكتيكاً عسكرياً جهنمياً، في عالم الجزيرة العربية، في بداية القرن العشرين! ولم يكن بمقدور الأعداء - وهم عادة عصابات قبلية بدوية غير منظمة تعتمد الكر والفر - أن يصمدوا أمام هذا الطوفان من النار الذي ينهال عليهم بلا توقف؛ ثم إن «الإخوان» أحبوا من تراث «السلف» أسلوباً آخر هائلاً لم تعرفه حروب الصحراء قط، وذلك هو الإقبال بلا إبطار، والزحف إلى الأمام دوماً من دون أي تفكير في التولي، والحرص على الموت بمثل حرص الآخرين على الحياة!

بدأ «القصر الأحمر» يتداعى، تلك الليلة، تحت وابل عظيم من النار. فانقضت عليه صفوف «الإخوان» المتتالية، وهم يهرولون متقدمين باستقامة عجيبة، لا يردعهم رصاص أو جراح أو حتوف؛ وكان جيشهم في معركة «الجهراء» يتكون من جناحين من الفرسان، وأربع فرق من المشاة: فرقة «مبايض»، وفرقة «فريتان والأثلة»، وفرقة «قرية السفلى»، وفرقة «قرية العليا». وكانت كل هذه أسماء «هجر» استوطنها «الإخوان» في فيافي نجد. وانعزلوا داخلها مهاجرين بأنفسهم من الدنيا متاع الغرور، باذلين أرواحهم للجهاد في سبيل إعلاء شريعة الله، وتعلم ضوابط الدين المستقيم ونواهيته كما حددها السلف الصالح.

كان هؤلاء «الإخوان» كرزاً ساقه الله لابن سعود؛ ولقد فطن عبد العزيز سريعاً إلى جدوى الاستفادة من هؤلاء السلفيين الجهاديين في حملاته التوسعية، فشملم بحمايته السياسية المطلقة، منذ أنشأوا أولى خلاياهم في نجد، في حدود عام 1912. ثم إن عبد العزيز لما رأى شدة بأسهم في القتال، عمل على الاستزادة منهم، فمد مهاجريهم بأنصار من مختلف القبائل النجدية، وسلحهم بأجود ما حصل عليه من السلاح الإنكليزي، ومؤلهم بخيرات الغنائم المنهوبة... وكانت تلك سياسة ناجحة، فلقد وجد السلطان في «الإخوان» بديلاً ظافراً وضارباً ومنظماً يستغني به عن عصائب البدو الانتهازيين الذين سؤدوا وجهه، في معركتي «جرب» و«كزان» عام 1915. وكذلك نمت تلك الهجر، وربت بـ«إخوان مطيعين لله» حتى صاروا، في عشر سنين، أكثر من ستين ألف مقاتل، يكونون جيشاً وهايباً جهادياً ذا صيت مرعب في كل أنحاء الجزيرة العربية والعراق وشرق الأردن؛ لا سيما بعد المذابح المروعة التي اقترفها أفرادها في معركة «تربة»، عام 1919، ضد الحجازيين.

الفاجر والتاجر

لم يكن ضمن مخططات عبد العزيز آل سعود، عام 1920، أن يفكح بالكويت. فهو يعلم جيداً أنها - مثل باقي مشيخات الخليج الصغيرة الأخرى - إحدى المحميات البريطانية، وهو بنفسه قد تعهد للسفير بيرسي كوكس، في البند السادس من اتفاقية «دارين» (بتاريخ 26 كانون الثاني 1915) أن يتحاشى الاعتداء على الكويت، أو التدخل في شؤونها. ثم إن عين سلطان نجد كانت شاخصة، في ذلك العام، نحو بلاد حائل خاصة، ونحو الحجاز تالياً. ولكن وقائع صغيرة استجدت، فاشتعلت حرباً ضد الكويتيين.



لقد فطن عبد العزيز سريعاً إلى جدوى الاستفادة من هؤلاء السلفيين الجهاديين في حملاته التوسعية (مروان طحطح)

إلى مقابلة الوكيل السياسي البريطاني في الكويت الميجور جون مور ليشكو له ما تعرض له من أذى «الإخوان»، وليطلع على ما يخشاه من مكر ابن سعود بالكويت. وهذا «الميجور» من روع الشيخ التاجر، وطمانه بأن الكويت لا خوف عليها، فهي تحظى برعاية الله وبريطانيا.

وبعد أن اطمان ابن صباح لرضى الرب عنه، أرسل إلى ابن رشيد حاكم حائل، طالباً التحالف معه ضد الخصم المشترك ابن سعود. ولم يضيّع ابن رشيد الفرصة، فقام بإرسال نجدة من الفرسان إلى الكويت، بقيادة الشيخ ضاري بن طوالة. ولم يكن الشيخ سالم بهذا السند من حائل، فسعى إلى أن يوطد علاقته مع شيوخ قبيلة العجمان أعداء ابن سعود، ورخب بهم وبرجالهم، في مشيخته، من بعد أن طردهم عبد العزيز من موطنهم في الأحساء. ثم إن ابن صباح - ولمزيد الاحتياط - أمر بعد أربعة أيام من هزيمة «حمض»، ببناء سور جديد ثالث ليحيط بالكويت، ويصد المتربصين به شراً.

لكن هذه التحالفات والاحتياطات الجديدة التي اشتغل عليها ابن صباح، لم تجعله يقطع شعرة معاوية نهائياً مع ابن سعود. فأوفد للأخير في الرياض وفداً، يوم 30 حزيران 1920، وشكاً إليه ما حصل منه ومن «إخوانه»، وذكره بأفضال آل الصباح على آل سعود في أيام محنتهم في المنفى الكويتي. ويبدو أن عبد العزيز لم يرقه هذا المن على، فخاطب من قدم عليه من الكويتيين قائلاً: «أما فضل آل صباح علي -الذي يعيرني به- فالفضل لله، ولا فضل علي لسواه. وأما ما حدث بين جنود الكويت و«الإخوان» من قتال، فلا دخل لي فيه، بل إنني رغبت في منعه، وأما شكواكم مما حصل لكم فمردودة، لأنكم أنتم الذين تدخلتم في ما لا يعينكم». ثم استدرك عبد العزيز، وقال: «إن كان ابن صباح يطلب مني حقوق الصداقة القديمة فأنا أعطيه، وسأرسل معكم ناصر بن فرحان آل سعود ليراضي الشيخ سالم. وأما الأموال التي صادرها جيش الإخوان،

وكان من أسباب ما جرى أن شيخ الكويت الجديد سالم بن مبارك الصباح أظهر توجساً من الانتفاخ المفاجئ لملك ابن سعود الذي ما كاد يستقيم له حكم نجد، حتى ابتلع الأحساء شرقاً، ثم اقتصر بلاد عسير غرباً. ولعل خسداً ما قد خاط التوجس في نفس ابن صباح؛ فهو كان يعرف ماضي آل سعود، في منفاهم الكويتي، أيام كان بعضهم يجيء زرياً تافهاً إلى مجلس أبيه؛ ثم إن ضيق شيخ الميناء التجاري الأهم في الخليج، ما لبث حتى استحال حنقاً، حين علم سالم أن «هجر» الإخوان قد بدأت تقضم من أراضيه هو، وأنهم أخذوا يبنون مستوطنة جديدة سموها «العليا»، بالقرب من آبار ماء كويتية. فأرسل لهم سرية من جنوده قوامها 300 مقاتل بقيادة قريبه دعيح بن سلمان الصباح، ليطردهم من ذلك المكان. إلا أن تلك القوة سرعان ما هزمت، يوم 18 أيار 1920، بعد أن هاجمها قائد «الإخوان» فيصل الدويش بأكثر من ألفين من أتباعه، في مكان يسمّى «خض» (2).

كانت هزيمة شيخ الكويت، مذلة ومهينة. فمن هزموه لم يكونوا سوى أتباع من اعتُبر - يوماً ما - «تابعاً» لأبيه؛ وبدا للشيخ سالم الصباح أن تحالفاته الإقليمية يجب أن يحدث فيها شيئاً من التغيير، وأما تحالفاته الدولية فيجب أن يصير فيها شيء من التمتين. وهكذا فإنه باد، قبل كل شيء،

”

كانت «الراجفة الوهابية» حملة قصف منظمة تستغرق من الجنود بضع دقائق،

“